

## الغيرة

دوافعها الجنسية والأناثية — أثرها في الاجتماع ووضع قوانين الزوجية — تحليلها في علم النفس — الغيرة كمرض هتيري — تأثيرها السيء على الحياة الصحية — علاجها

للاستاذ حسن مظهر

لعبت الغيرة دورا هائلا في الحياة الاجتماعية من يوم الخليفة إلى الآن، ولم يقتصر دورها على الانسان فحسب ، بل تخطاه الى الحيوان ... فكل مخلوق يغار حتى الأطفال ، حتى الطير، حتى بعض الحشرات والأسماك، وذلك لأن الغيرة غريزة تنور وتنمعل بدافعين خطيرين لا يمكن اغفالها في حياة أى مخلوق، وهما الحب الجنسي والحب الذاتى .

وقد قسم قاموس وبستر Webster الغيرة الى نوعين : الأول وينشأ من العلاقات الجنسية ، وهو عبارة عن شعور أو قلق ينتج من خوفنا من مزاحم قد يسلبنا قلب الشخص الذى نحبه ، أو ينتج من الشك فى أن هذا المزاحم البغيض قد سلبنا فعلا ذلك القلب .

أما النوع الثانى فينشأ من حب المرء لذاته ، وينتج من كراهة الانسان لشخص غيره يتمتع بالتمائذة التى يمتاها لنفسه ، أو ينتج من الخوف من أن يتمكن الشخص المشار اليه من التمتع بالعائذة المذكورة .

وتشاهد هذه الغيرة المتولدة من الإثرة وحب النفس شائعة بين أهل المهن الواحدة وفى كثير من الأوساط العائلية والأدبية ، وهى إذا كانت مستترة فى بعض الناس فلا يعنى ذلك أنها معدومة ولا وجود لها، ولكنها ككل غريزة تكون داجعة كامنة وتظهر فى المناسبات والحوادث التى تستفزها الى الظهور ، فقد يكون الأطفال أو الإخوة ينمون بحياة رادعة لا يعرفون فيها الغيرة إطلاقا ، ولكنهم إذ يلاحظون أن فائدة هامة قد اختص بها أحدهم دونهم لا يلبثون أن يحسوا سريعا بالحزن والغضب ، وإذا بانفعال الغيرة يجول فى قلوبهم ، فنجد الطفل عندئذ يحاول أن يضرب أخاه لياخذ منه العوبة أعطاه إياها أبواه ... كما نجد الأخ الكبير يكظم غضبه على أخيه الصغير فيحقد عليه ، لأنه ظفر بطف أبويه ، أو لأنه حظى بميراث دونه .

وأمل أبرز مثل على هذه الحالة قصة يوسف الصديق عليه السلام ، فقد غار منه إخوته  
وكرهوا رؤيته لأن أباهم يعقوب أحبه أكثر منهم ، فكان أن ألقوه في بئر ماء وقالوا إن  
الذئب قد أكله منهم وهم عنه غافلون .

وكذلك قصة المأمون والأمين ولدى الخليفة العباسي هارون الرشيد ، فقد حقد الأمين  
على أخيه من أبيه المأمون لأن الأخير كان ينعم أكثر من الأول بعطف الرشيد حتى عمده له  
ولاية العهد ، فكانت منازعات وحرب ، ولم يستقل المأمون بالملك إلا بعد مقتل أخيه  
الأمين في خراسان .

ويستغل رجال التربية شعور الغيرة الأناني في دور العلم ورياض الأطفال ، لأن معظم  
الطلبة أ كانوا صغارا أم كبارا يميلون إلى الطموح والاستعلاء فيغار بعضهم من بعض ويتنافسون  
محاويل الفوز بقصص سبق على الآخرين ، حتى يجوزوا رضاء المرين أو الجوائز الأدبية  
والعلمية .

كما لوحظ أن التجار وأرباب الأعمال يتنافسون بعضهم بعضا بدافع الغيرة الناشئة من  
الإثراء ، إذ ينظر كل منهم إلى الآخر نظرتة إلى مزاحم يهدده فيما يرجوه انفسه من الربح  
والنجاح ، ومن ثم يندفعون إلى تحسين أعمالهم بالكد والابتكار لاكتساب ثقة الزبائن  
والعملاء ، وقد يندفع بعضهم إلى طريق الشر والكيد للتخلص من المنافسين .

ومن هنا كان للغيرة الأنانية خطرهما على الحياة الاجتماعية العامة ، فهي كثيرا ما تتحول  
من شعور بالضييق والكراهة إلى أعمال كيدية انتقامية لا توقع الأذى بفرد أو مجموعة من  
الأفراد فقط وإنما بشعوب وأمم بأسرها ، وذلك ما حدث في التاريخ لكثير من الدول  
منزقتها غيرة حكامها بعضهم من بعضهم ، وخلافهم في سبيل الحظوة بالسلطة والرياسة . وأكبر  
حادث في التاريخ الإسلامي من هذا القبيل تمزق وانهار دولة بني الأحرر في الأندلس .

### الغيرة تساعد على تأسيس نظام الزوجية :

وتعود إلى الغيرة الجنسية في المجتمع الإنساني القديم والحديث ، فنجدها قد أدت إلى  
وقوع كثير من المعارك بين الرجال والقبائل في المجتمعات البدائية ، فقد كان من عادة أدل  
تلك العصور السحيفة أن يحتكر شيخ القبيلة لنفسه أجمل الفتيات الصغيرات ، مما يستتير  
غيرة الشبان ويجلبهم يتطاحنون ويتقاتلون ، كما كان الزواج يتم بنظام هجى خال من  
الروابط المدنية والسنن الدينية ، ومنه زواج الجملة وزواج الاشتراك ، ومنه إتناؤ النساء ،  
بالمال أو بالقوة... وهذا ما بعث بالغيرة تجول وتتحول في تلك الهياكل حيث صار الكثيرون  
يتطلعون إلى ما في حوزة الآخرين من النساء ، ويستخدمون لغايتهم الدراك والاعتداءات .

وكان طبيعياً أن تُلقت هذه الحال الفوضوية نظر الناس الى ضرورة وضع قوانين لتقلبات الزوجية تحول دون المنازعات الجنسية ، فظهرت أولاً شرائع الزواج المدنية التي تعتبر المرأة ملكاً أو متاعاً للرجل ولا يحق لرجل آخر أن ينزعه ملكيتها ، ثم تعديل نظام الزواج فأصبح اجتهاداً مقيداً بالحقوق والواجبات الشرعية ، وهكذا كانت الغيرة من أهم تلك العوامل التي أسست النظام الدائلي الاجتماعي .

### تحليل شعور الغيرة :

وقد حلل بعض العلماء شعور الغيرة الجنسي فعبروا عنه بأنه نوع من الملكية ، بدعوى أن الرجل يملك زوجته ومن ثم يفار عليها ، وهو تعبير خاطئ مستمد من فكرة اعتبار المرأة حنّاء ، ويهدمه أن الممتلكات مهما يكن شأنها من الإعزاز يمكن بيعها مقابل مبلغ مرضح دون أي شعور بالغيرة ، أما في الزواج فلا تحمل الغيرة فكرة مشاركة الملكية مع شخص دخيل .

وبالتعريف العلمي الصحيح لغيرة الجنس أنها لون من ألوان التضب العنيف على منافس يصكر صفو الانسان ويهدده في شيء عزيز عليه . . وهي في الوقت ذاته محاولة من المرء لمنع شعوره بالانحطاط . أي ثورة نفسية منه دفاعاً عن كبريائه وعزة نفسه . وذلك لأن الانسان المرتبط بمحطية أو المقترب بزوجة يحس أن شخصيته معظمة في نظر نفسه لأنها محترمة في نظر شريكه ، كما يشعر بسعادة من عطفها عليه وحبها له . بيد أنه عند ما يظهر له شريك ، فأى خصم ، يعطى بالفضيل عليه يدرك في الحال بأنه قد اعتدى على حقه فينتقم على هذا المعتدى ، ثم يحس أن كبريائه قد أهانتها زوجته ، وأن رجولته قد احتقرتها بخيانتها وإيثارها شخصياً عليه ، فيحس على هذه الزوجة المنحطة ويشمئز منها ، كما يشعر بأنه قد فقد تلك السعادة العزيزة من المحبة والوفاء اللذين تحولوا الى غريمه ، فيتم ويكتئب . ولا يدري إلا وهو يغفل بجموعة مشاعر قاسية طاغية ، هي الغيظ والاشمئزاز والألم . وهذه المشاعر الهائجة تتألف منها الغيرة ، وقد تجيء في بعض الأحيان مندفة عمياء الى حد أنها تفرق العقل في موجة من الصخب والياس لا يستطيع معها الانسان حكم نفسه ، فينطلق بغير مراجعة الى الانتقام لإرضاء لرجولته الجريحة وشرفه المهان . وقد يعتدى في ثأره بالقتل . . وقد يجن !

ونحن نقرأ كثيراً في الصحف عن هذه الغيرة اليائسة الفاتلة وكيف أثمرت جرائم مروعة ذهبت فيها الأرواح ، كما حدث في فاجعة المرحوم الضابط شكيب منذ نحو عام . . . كما طالعنا قصصاً دامية عديدة تدور حول هذه الحالة المروعة من الغيرة والبلوغ قصة ميديا Midea التي وضعها القاصي الإغريقي الخالد "يوربيد" وصور فيها "ميديا" التي كانت تعيش عيشة راضية مع زوجها "جاسون" فأصابها نوبة الغيرة الجنونية إذ رأت رجلها يريد

الزواج من غيرها ، فسخطت عليه الى حد أنها كرهت أطفالها الذين أنجبتهم منه فعمدت اليهم فقتلتهم ودست السم لمزاحمتها المروس وأحرقها بالنار !

كما نجد تحليلا علميا دقيقا لهذه الغيرة في قصة عطيل " Ottells " التي ألفها الشاعر الانجليزي الشهير شكسبير . فقد اشتعلت نفس عطيل - وهو قائد بربري - عند ما أبلغه أحد أصدقائه الوشاة كذبا أن زوجته " ديدمونه " تخونه ، ففقد قواه الرواعية ولم يتمهل أو يتأمل ، بل اغتال زوجته . . . على أنه عند ما وقف على الحقيقة وأنه أزهق الروح بالظلم أنه ضميره ولم يسه إلا الانتحار بجانب قبيلته البريثة . . .

### الغيرة المريضة الوهمية :

وقد أتضح للباحثين في علم النفس الحديث أن المصابين بالأمراض العصبية ومدمني الخمر هم أشد الناس غيرة على الاطلاق . . . فهؤلاء يتشككون بطبيعتهم ، ويحتاجون من أي مؤثر ، ويكون هياجهم الغمسي فظيما عند ما يزعمون أو يتصورون أن هناك خيانات من شركاء حياتهم . ويعتبر العلماء غيرتهم ضربا من المرض أو الجنون .

وأصحاب هذا المرض يعكرون صفو حياتهم أيديهم ، ويسمون هناعم الزوجي والعائلي ويملاؤن جوهم بالقلق والعداب . إذ غالبا ما تتخزع مخيلاتهم خيانات وهمية يظنون يفكرون فيها ويكبرونها . فيؤاؤون كل حركة وكل كلمة بحسب أذهانهم الملبدة بوهم الخيانة ، وكل ما يرونه أو يسمعونه يزونه بميزان الغيرة ! وقد يشور إحساسهم من مجرد حكاية فارغة أو نظرة بسيطة ، بل حتى موقف الدفاع عن خادم يتخذونه سندا للاشتباه والانهام ! ولا يكتفون بذلك وإنما كثيرا ما يلجأون الى وضع شركاء حياتهم تحت الرقابة ، فيرسلون في أثرهم المخبرين وينتوون العيون لمعرفة ماذا يفعلون وأين يذهبون !

وهم يأتون هذه التصرفات بدافع فرط حبهم ، معتقدين أنهم يمنعون بها الخيانة المزعومة التي تفرعهم وتبلبل خواطرهم . . . غير أن الحقيقة أن تصرفاتهم تنعكس ضد غرضهم . فأتى لهم بما كانوا يخافونه وهو تدمير سعادتهم الزوجية وإبادة الحب والوفاء . . . إذ لا ينتج هذا الضغط المتوالي وهذه المستيريا المزعجة غير توليد الشحنة ومضاعفة النكد والبغضاء مما ينتهي دائما بحطيم العائلة ويؤدي بالنيورين الى المصحات العقلية ، أو الى السجون . لارتكابهم الجرائم في لحظات الجنون . . .

وخطورة غيرتهم أنها ليست شمورا مؤقتا يذهب بذهاب أسبابه ، وإنما شعور مرضى ، متلبوع ، دائم ، متكرر الثوران لأنفه الأسباب .

وقد قام العالم النفساني المعروف ادلر Adler بأبحاث قوية في هذا الموضوع فظهر له أن هؤلاء المرضى تصدر منهم أنواع غريبة للغاية من الأعمال . . . فهم يهيشون في كهف نفسي مظلم تطاردهم فيه أشباح الأوهام وتتضخم فيه عوامل الكمد والانتقام . ومن خصائصهم أنهم تنقصهم الثقة بأنفسهم بأنهم محل حب زوجاتهم ، ولذا فانهم في خوف وتقلقل دائمين من هذه الناحية . كما أنهم يحاولون دائما بباعث غيرتهم العصبية أن يعلنوا عن شخصياتهم بالحديث الكثير وبإدعاء المفاسد والتظاهر بالعظمة لكي يجتذبوا إليهم أنظار محبوبيهم وينالوا تقديريهم . ومن عاداتهم أنهم يحصرون فكرهم في ملاحظة مبلغ تأثيرهم على محبوبيهم ومراجعة ما حدث منهم وتأويله بما تتطلبه غيرتهم . . .

كما ظهر أن الناس المسنين تلهب غيرتهم دائما إذا اقترنوا بمن هم أقل منهم أعمارا بفارق كبير . وسر ذلك أن كبار الأسنان لا يشقون بأنفسهم كحجين لاتقين ، ولهذا يفارون بعكس الأشخاص المعتريين بشخصياتهم ولياقتهم .

وغيره العجائز حادة شنيعة ، لأنهم ردد شعورهم العميق بالعجز ، ومحاولتهم تحقيق المستحيل في أن يستحيلوا شبابا ، ويأسهم من أن يتحكوا في شركاء حياتهم .

ويعتقد عالم النفس "ميتندال" أن النساء تعاني غيرة أعنف مما يعانيه الرجال . ويعزو أسباب ذلك إلى أن المرأة ترى في الزوجية كل مستقبليها وهنائها ، فإذا ما طرأت عليها مزاجية تريد ملب مركزها ، فانها تتقد بالغيرة وتكاد يضل عقلها . وهي في ضلالها وتأرها تستخدم الحيل الاجرامية كطرق الإيقاع ودرس السم وما إليه . وإن كيدهن لشديد !

ومن الغيرة المرضية ما يأتي ردا لشعور الشخص بذنبه ، فقد يذنب أحد الزوجين ويخون شريكه في الخفاء . ولكنه لا يعتم أن يقع من حيث لا يدرى تحت تأثير الشك في شريكه البرئ ، إذ يتوهم أنه يخونه أيضا ، ثم يصطلي بنار الغيرة !

وكذلك يشور هذا الشعور المرضي ضد مزاجه نافته لأهمية له . كأن يفار أحد الشريكين من أن شريكه يهتم بكلامه أو ثيابه أو خيوله أو كتبه أو زهوره . إذ يرى الشريك الفيور في هذه الأشياء مزاجها يشغل عقل وميل شريكه ويمنعه من الوجود معه . وكثيرا ما سمعت هذه الأشياء حياة الأزواج حتى لقد وقع الطلاق بسببها في بعض الحالات !

### تأثير الغيرة وعلاجها :

والغيرة شعور مكروه يؤدي ويعذب الجنسين على حد سواء ، ولها تأثير ضار على الجسم والصحة العامة ، فهي تؤثر على الكبد وعلى بعض الغدد ، وعلى ضربات القلب ونظام النفس وعلى الجهاز الهضمي ، وصاحبها يكون أصفر اللون ، مكتئبا ، مضطرب الأعصاب ، وهي

تعجل في شيخوخته وتغير منظر سمته . وإذا استشرت معه أصابته بالأمراض العصبية وأخصها "الماليخوليا" و"الهستيريا" ، ويدها العقلاء ضربا من الحق ان لم يكن الجنون . وذوو الشخصيات السليمة القوية يستفيدون منها لأن انفعالها يجعل العقل ينشط أكثر من عادته ويفكر بنظام جديد قد يتخلله الالهام . وهنا تتكشف لهم الحقائق وحلولها فان وجدوا خطأ أصلحوه في تبصر واتزان .

أما أولئك الفيورون المرضى الذين مر ذكرهم فغير علاج لهم هو إظهار تفاهة السبب الذي أهاجهم . وإذا تفاقمت حالتهم المرضية فيمكن للطبيب أو صديق العائلة أن يصلح الأمر بالاقناع والايحاء المهدىء لإزالة ما علق في مخيلاتهم من الأوهام التي لا تستند على التليل والإثبات ، لأن الشخص المشتبه فيه لا يستطيع أن يقنع شريكه ببراءته ما دام هذا الشريك يتهمه ويعتقد بآثمه .

ويجب على المرء أن يحتفظ في جميع حالات الغيرة برويته وتبصره فلا تلبه نفسيته ، والا يخط إلى درك الوحشية بالانتقام وهو إجرام ... يجب عليه ألا يندفع بإبرام الحكم وتنفيذه وألا يتبع هواه :

قافة العقل الهوى فمن علا على هواه فقد نجا

حسن مظهر

من كلام الإمام علي

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وطوبى لمن لزم بيتسه وأكل قوته وانتقل بطاعة ربه وبكى على خطيئته ، فكان عن نفسه في شغل ، والناس منه في راحة .